# (الحكمة في شعر شعراء كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) لابن أبي عقامة اليمني (ت٤٨٠هـ) دراسة تحليلية)

بيان عدنان نعمة

مديرية تربية كربلاء

أ. د. محمد حسين المهداوي

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية

# Wisdom in the Poetry of the Poets in the Book "Jawahir al-Akhbar wa Mulh al-Ash'ar" by Ibn Abi 'Aqama al-Yamani (d. 480 AH): An Analytical Study

Bayan Adnan Na'ma

Kerbala Directorate of Education

Prof. Dr. Mohammed Hussein Al-Mahdawi

University of Karbala - College of Education for Human Sciences

https://doi.org/10.64704/dawat.2026124811

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة الحكمة في شعر شعراء كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) بوصفه موضوعاً فنياً له قيمة إنسانية رفيعة يستثمره الشعراء في نصوصهم الشعرية لما يقدم من نصح وإرشاد للأفراد والجماعات على اختلاف حياتهم، بقصد التأثير فيهم والأخذ بما يرومون إيصاله إليهم، وقد تعددت موضوعات الحكمة التي يقدمها الشعراء بين حكمة الصبر على تقلبات الزمان وحكمة الموت والحياة وغيرها، وانتهى البحث إلى خاتمة، أوجزنا فيها أبرز ما وصلت إليه الباحثة من نتائج.


الكلمات المفتاحية: الحكمة، جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ابن أبي عقامة، التحليل


## Abstract

This research aims to study wisdom in the poetry of the poets of «Jawahir al-Akhbar wa Mulh al-Ash›ar» (Gems of News and Salt of Poetry), considering it an artistic theme of high human value that poets utilize in their poetic texts to offer advice and guidance to individuals and groups in all aspects of their lives, with the intention of influencing them and conveying the message they wish to communicate. The themes of wisdom presented by the poets are varied, including the wisdom of patience in the face of life›s vicissitudes, the wisdom of death and life, and others. The research concludes with a summary of the most prominent findings of the researcher.


Keywords: Wisdom, Gems of News and Witty Poetry, Ibn Abi Aqama, Analysis

## المقدمة

الحمدلله رب العالمين وأفضل الصلاة والتحية والإكرام على محمد وأهل بيته الأطهار، أولي الفضل والنعمة، والصراط القويم، وعلى صحبة الأخيار المنتجبين الأبرار، ومن تبعهم وولاهم إلى قيام يوم الدين.

أما بعد...

فيعد شعر الحكمة من الموضوعات الشعرية البارزة في الشعر العربي، فهو يرتبط بأفراد المجتمع عبر ما يقدم من نصح وإرشاد، بوصفه فناً له قيمة إنسانية واجتماعية عالية، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون البحث مشتملاً على ملخص اللغة العربية يحوي الكلمات المفتاحية ثم يتبعه ملخص باللغة الانكليزية، مع كلماته المفتاحية باللغة نفسها، ثم المقدمة ويتبعها التمهيد المعنون بـ (سيرة المؤلف، منهج كتابه، شعر الحكمة) منطلقات تأسيسية، ثم الخاتمة التي أوجزت فيها أهم النتائج التي أفضى إليه البحث، ثم ذكر هوامش البحث وبعدها قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي وسيلة للوصول إلى غايته، ولم أُخرّج الشواهد من الدواوين الشعرية لعدم إثقال الهامش من جهة، ولأن أغلب هذه الأبيات عَمدت المحققة إلى تخريجها ومن ثم فلا فائدة من هذه التخريجات كلها والاكتفاء بالإحالة إلى المصدر الأصلي محل الدراسة.

ولا أدّعي في هذا الموضع، أنّي لم أواجه عقبات وصعوبات في كتابة بحثي هذا ولا سيما ندرة الدراسات المرتبطة بابن أبي عقامة اليمني ونتاجاته، ولكني اكتفي بالقول إن العطايا والنَّعم التي منحني الله إيّاها كانت كفيلة بتذليل تلك الصعوبات وإزاحتها عن مساري، فلله الحمد والشكر كما ينبغي له.

## التمهيد

(سيرة المؤلف، منهج كتابه، شعر الحكمة)

### أولاً: سيرة المؤلف:

هو «أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة بن الحسن بن محمد بن هارون التغلبي الملقب بـ(مؤتمن الدين)»[1]، ولم تشر المصادر إلى تاريخ معينٍ لولادته بينما

ذكرت مكانها في اليمن ولعل سبب ذلك يعود إلى جعل الأولوية لنتاجاته الأدبية عوضاً من التفاصيل الشخصية.

ينحدر اليمني من سلالة أبي عقامة[٢]، وهم من كبار قضاة زبيد في القرن الخامس الهجري، يعود نسبهم إلى تغلب وقد وفدوا مع ابن زياد، واشتهروا بالعلم والفضل، ومن طريقهم ساد المذهب الشافعي في زبيد، وظلوا في القضاء إلى أن تولى الملك علي بن مهدي الرُّعيني الحميري - الحنفي مذهباً- فأزالهم عن الخطابة بالجامع الكبير حين أزال دولة الحبشة[٣].

كان ابن أبي عقامة من كبار القضاة ومن الشعراء والأدباء المشهورين في اليمن، وإليه تنسب الخطب العقامية، عُد خطيباً مصقعاً وشاعراً مخلقاً وإماماً ومدرساً في العربية واللغة[٤]، حيث ينتمي إلى واحدة من أبرز الأسر العلمية وأهمها في تاريخ اليمن، إذ أسهمت أسرته في تأسيس مدينة زبيد عند مطلع القرن الثالث الهجري، بتسنم أفرادها أرفع المناصب في الدولتين الزيادية والنجاحية، فكان منهم العلماء والقضاة والأدباء والشعراء، ويعد الحسن بن أبي عقامة ذروة هذه الأسرة ودُرتها حيث ذكره الذهبي بقوله: «كان القاضي محمد بن أبي عقامة رأس أهل العلم والأدب بزبيد،... ومن أعيان الفقهاء، الذين أفتوا ومن أفضل أهل الأدب»[٥].

وذكره الأصبهاني بقوله: «هو كبير البيت والقدر، غزير الفضل، وكان فقيهاً شاعراً وإماماً في العربية واللغة ماهراً»[٦].

وبهذا نستطيع القول: إن أغلب الآراء حوله تجمع على مسألة تمرسه في اللغة والأدب وكونه فقيهاً بارعاً، وشاعراً متقناً.

وأشار ابن سمرة إلى سلالته بقوله: «بني عقامة أول من قدم وجَهرَ ببسم الله الرحمن الرحيم، يعني في افتتاح القراءة في الصلاة، وعنهم ظهرت تصانيف مذهب الشافعي»[٧].

وله شعر فائق بالحسن والجودة نذكر منه:

(الكامل)

نحن الذي متينة أوصالنا
في الدين لا قطع الردى أوصالنا
هذا الذي أوصى به جدّ لنا
لمحا بمجد جدوده أوصى لنا[٨]

ومن شعر القاضي ابن أبي عقامة أنه لما سمع قول المعري (٤٤٩هـ)[٩] (الطويل)

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله
وتزويج ابْنيه لبنتيه في الدُنا
علمنا بأنَّ الخلف من أصل زَينيةٍ
وأنَّ جميع الناس من عنصر الزِّنا

أجابه بقوله:

(الطويل)

لعمْرُك أمّا فيك فالقولُ صادقٌ
وتكذبُ في الباقين مَنْ شطَّ أوْ دَنا
كذلك إقرار الفتى لازمٌ له
وفي غَيره لَغوٌ كذا جاء شرعُنا[١٠]

كما يمكن الإشارة إلى أن القاضي اليمني له العديد من المؤلفات منها مختصرات، ومنها قصائد متفردة، وهذا يدل على سعة اطلاعه وثقافته الأدبية والاجتماعية والدينية الواسعة فكتبه عُدت من النوادر لأنها تضم في أغلبها نصوصاً شعرية ونثرية لم يتطرق إليها أحد من قبل ومن أبرز مؤلفاته التي وصلت إلينا أو نسبت إليه نذكر:

- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار.
- مختصر في علم الفرائض والحساب[١١].
- نقد الشعر، حيث ذكره في الخبر الثاني والستين من كتاب دراستنا[١٢].
- نوادر مذهب أبي حنفية التي يستشنعها أصحاب الشافعي وغيرهم، وقد صار الكتاب في اليمن قليل الوجود، لأنَّ الحنفية اجتهدت بتحصيله وإذهابه[١٣].
- الملطف في علم المساحة.
- قصيدة نونية تدل على اتساع علومه وعلو همته[١٤].

وتولى ابن أبي عقامة منصب قضاء القُضاة في أيام الصليحيين ثم مع آل نجاح، وكان يميل إلى الحبشة، يرى أنهم أولى بالملك من الصليحيين بسبب تباين المذهب بينهم، وإليه يعود السبب بعودة الملك إلى جياش بن نجاح فكان عنده معظماً مبجلاً يلقبهُ بمؤتمن الدين، فعرض لجيَّاش خطبة امرأة من الفرسانيين أهل موزع، فندبه لخطبتها،

ومن ثم قام بالتقدم رسمياً إلى أهلها، وأعلمهم بالرسالة له؛ فأجابه بعض وتأخر عنه بعضٌ ثمّ إن بعضهم سأله عن جواز ذلك؛ وقد كان بينه وبينهم ألفة عظيمة ويمكننا إرجاع ذلك إلى القرابة في النسب حيث إنهم يرجعون إلى تغلب، وهو كذلك، قال: إذ لم ترض المرأة والأولياء جميعاً لم يصح النكاح، فأصروا على الامتناع ووثقوا بمشورته، ثمّ لّما عاد إلى جياش أخبره بتمنُّعهم فلم يزل جياش يستدرجهم ويرغبهم بالمال حتى أجابوا وزوجوه، فلما زفت إليه المرأة وصارت معه سألها عن سبب التَّمنع فأخبرته بمقالة القاضي لهم فحمل عليه من باطنه حتى إنه قتله ظلماً وعدواناً[١٥].

ثم خاطب ابن القيم بعد هذه الحادثة جياشاً قائلاً:

(الرجز)

أخطأت يا جَيَّاش في قتل الحسن
فقأت والله به عين الزَّمن
ولم يكن منطوياً على دخن
مبرأ من الفسوق والـدَّرن
كان جزاه حين ولاك اليمن
قتلكه ودفنَـه بـــلا كفن
ولاك في السرَّ منه والعلن
ملقباً له بالمؤتمن

وقوله أيضاً:

(الرجز)

تفرّ إذا جر المكرم رمحه
وتشجع فيمن ليس يحلي ولا يمري

ثم نقم بنو عقامة على ابن القِيم في هذا البيت وقالوا: قتلُ صاحبنا أهون علينا من وصفه بهذا الوصف (ليس يحلي ولا يمري)، ولم يرد ابن القيم ثلب القاضي بهذا المعنى بل الإعلام بالفرار من جيَّاش[١٦].

وقد اختلفت المصادر التي وقفنا عليها في تحديد سنة وفاته، فرأى بهاء الدين اليمني أن وفاته كانت لبضع وثمانين وأربعمئة[١٧]، وأما حاجي خليفة فظن وفاته بين سنة ٤٨٠-٤٨٣هـ[١٨]، بينما أشار البغدادي إلى أن وفاته سنة (٤٨٣هـ)[١٩].

**ثانياً**/ إطلالة على كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار):

يعد كتاب (جواهر الأخبار ومُلح

الأشعار) للقاضي مؤتمن الدين الحسن بن محمد بن أبي عقامة اليمني، المتوفى في حدود (٤٨٠هـ)[٢٠]، ذخيرة من ذخائر الأدب ومن كتب الأسمار والمحاضرات، لا يقتصر على جانب من الأخبار الأدبية فقط بل يتضمن في طياته كثيراً من المسائل الكلامية والفقهية واللغوية، وغيرها من المسائل التي لها أهمية، وأثارت جدلاً حولها فنجده يستعرضها ويبدي رأيه فيها.

وهو من الكتب التأسيسية في التاريخ الحافل لمدينة زبيد؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر كونه أول جهد تأليفي يمني في هذا المنحى من التأليف الذي اشتهر به أعلام كبار كالجاحظ، وابن قتيبة، وابن عبد ربه، والأصفهاني، وأمثالهم، بالإضافة إلى أن لهذا الكتاب ميزة تتعلق بما يضيفه إلينا من أخبار وأشعار ترتبط باليمن مما لم يرد قطّ في المؤلفات العربية الأخرى.

يتألف الكتاب من جزأين تلاهما كشافات بالأشعار، والأمثال، وأسماء الأعلام، والبلدان، والقبائل ونحوها، وكل جزء منهما يتكون من أخبار وقد بلغ عددها مائة خبرٍ، فيبدأ الجزء الأول بالخبر الأول وينتهي بالخبر الثالث والستين ثم يبدأ الجزء الثاني بالخبر الرابع والستين وينتهي بالخبر المائة، بالإضافة إلى كلمات في أقوالهم؛ إذ قام باستحضار أقوال علماء آخرين وأمثال وذكر لنا الأشعار التي تضمنتها؛ إذ كثيراً ما يضمن البيت الشعري من الأمثال والأشعار والآيات القرآنية أو من الأحاديث وكلها إمّا باقتباس حرفي أو جزئي أو بالمعنى بحيث لا يستطيع إلا القارئ المتمرس أن يدرك أن ثمة تناصاً على اختلاف أنماطه وتعدّدها من تاريخي أو ديني أو أدبي وغيرها من الأنماط.

وهذه الأخبار من الجواهر كلها مُسندة صحيحة مشتملة على فصيح الأشعار[٢١].

وقد بلغ عدد المقطوعات الشعرية والقصائد التي ضمنها ابن أبي عقامة اليمني أخباره (٤٢٩)، فضلاً عن أن الكلمات التي وردت في الكتاب هي عبارة عن أمثال ومأثورات تدور على

الألسن قد ذكر من سبقه لها تفسيراً إلا أنهم اختلفوا في بعض ذلك فقام ابن أبي عقامة بجمع ما فرقوا وحقّق في إيضاحه، وفيها أيضاً أشعار ولا تختلف كثيراً عن أخبار المئة سوى طريقة اعتماده على المأثور والمثل فحسب.

ومن ثم فإن المؤلف لم يكتف بإيراد الأخبار بل تعدّى إلى ذكر اختلاف الروايات – إن وجد – ويقوم بجهود طيبة من مثل: تعليق، وتفسير، واستشهاد، وتأصيل[٢٢].

كما أن اختياراته نلاحظ أنها تشي بخصوص الكتابات اليمنية الأدبية في هذا الوقت عبر الاهتمام بأخبار آل البيت(ع) والانتصار لهم من دون أي تشيع.

أما منهج الكتاب، فلم يتبع منهجاً أو معياراً معيناً في التأليف، فقد كان ابن أبي عقامة يعرض بضاعته وفق ذائقته الفنية والأدبية، فنجد فن الشعر بجانب فن النثر مستبعداً الفصل بينهما، ثم نجد شاعراً متوفى في العصر العباسي إلى جانب شاعر متوفى في العصر الجاهلي وآخر في العصر الأموي، فطريقة تأليفه لم تكن مقيدة، وهذا بحد ذاته دليل همه الوحيد في تدوين الدرر الأدبية باختلاف عصورها وكأن الزمن لم يمنح ابن أبي عقامة فرصة ليلزم نفسه بمنهج محدد يُرتب وفقه مادة كتابه.

ثالثا: شعر الحكمة:

هي « قولٌ بليغٌ، موجزٌ يصدر عن عقلٍ، وتجربةٍ، وخبرة بالحياة، ويتضمن حكماً مسلماً في أمرٍ بخير، أو نهي عن شر»[٢٣].

ويعد شعر الحكمة من الموضوعات البارزة في الشعر العربي منذ عصوره الأولى، فهو يرتبط بأفراد المجتمع ويعبر عن العلاقات التي تسود بينهم والمثل الأخلاقية والإنسانية[٢٤]، إذ يقدم هذا الموضوع النصح والإرشاد للأفراد والجماعات على اختلاف حياتهم وظروفهم، ولذا اقترنت الحكمة بالموعظة الحسنة ومنه قوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[٢٥].

وصياغة ألفاظ الحكمة بيّنة سهلة، عذبة، يفهمها المتلقي، ولا تأتي

اعتباطاً من الشاعر بل عن دراية، فهو يعبر عن تجربةٍ شخصيةٍ، ومواقف اجتماعية[٢٦].

إن شعر الحكمة كان مبعثراً في موضوعات القصائد، وبمرور الزمن نما وتطور فأصبح فناً مستقلاً في قصائد منفردة تعبر عن أهداف محددة من أجل إصلاح المجتمع وتقديم النصيحة[٢٧]، وبهذا فإن الحكمة هي «خلاصة تجارب الشاعر أو نظرته إلى الحياة إزاء أي أمر من أمورها، وإزاء أي موقف من مواقفها»[٢٨].

ويمكن الإشارة إلى أن شواهد الحكمة التي اختارها المؤلف ابن أبي عقامة اليمني في كتابه (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) تضمنت أغلب العصور الأدبية العربية من العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي، ولكن نلحظ هيمنة العصر الجاهلي في شواهد هذا الشعر، وهذا يعود إلى ازدحام حياتهم التي كانوا يعيشونها بالمواقف والمعارك والحروب والخلافات القبلية التي كانت فيما بينهم لذلك برعوا في الحكم وقول الأمثال في المناسبات المختلفة.

وشكلت الاختيارات الشعرية عند ابن أبي عقامة وعياً ثقافياً إبداعياً ذا نسق خاص مميز، نال نصيباً مهماً ضمن اختياراته الأدبية، فقد كان اهتمامه بارزاً بهذا الموضوع ليحاول عبره إيصال المواعظ لأكبر فئة من المجتمع، ولذا كان وجوده بنسبة عالية بعد موضوعي المديح والفخر.

ومن شواهد الحكمة التي أوردها المؤلف قول النابغة الذبياني (ت١٨ق.م؟)[٢٩]:

(م. الكامل)

المرءُ يأمُلُ أن يعيـ
ـشَ وطُولُ عَيْشٍ ما يَضُرُّهْ
وتداول الأيامُ حـ
ـتَى ما يرى شيئاً يَسُرُّهْ
تَفْنَى بَشَاشَتُـهُ ويَبْـ
ـقى بعـد حُلْوِ العيشِ مُرُّهْ[٣٠]

يظهر التأمل في الاختيار في تعبير الشاعر عن موقف ذاتي، فهو يتميز بحالة موضوعية مرتبطة بذاته، مبيناً تجربة جماعية لأطراف متنوعة ومتعددة، فيشير

إلى تأمل الفرد في هذه الدنيا والتشبث بها، مستنداً إلى تجارب ومعارف عامة تمر على كل البشر، وهو من يشعر بتغيرات حال هذه الدنيا التي لا تدوم لأحد، فتميز النص بالإيجاز والوضوح والتأثير عبر دعوته إلى عدم التمسك الزائد بطول العمر مع التذكير بأن الحياة متقلبة، فعلى الإنسان أن يكون بكامل الاستعداد لمواجهة أحداث يومه مؤكداً أن طول العمر ليس بالضرورة نعمة بل قد يكون العمر بعد فقد الصحة والعافية أمراً متعباً جداً، فالشاعر في أبياته يسعى إلى مشاركة الآخرين بهذه الحكمة للإفادة منها.

ويقول عدي بن الرعلاء الغساني(ت٢٠ ق.هـ)[٣١]

(الخفيف)

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ
إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاءِ[٣٢]

يعتمد الشاعر المفارقة بين نوعي الموت المعنوي والجسدي لإظهار فكرته، فيرى أن الحياة بلا كرامة ووعي تعد موتاً فعلياً، محاولاً استنهاض القارئ للسعي في إيجاد حياة ذات هدف وجوهر.

ومن الحكمة ما قاله النمر بن تولب(ت١٤هـ)[٣٣]-

(الطويل)

يَوَدُّ الفَتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنَى
وكيف تُرَى طُولُ السَّلامةِ يَفْعَلُ
يُرَدُّ الفَتَى بَعْدَ اعْتِدالٍ وصِحَّةٍ
يَنُوءُ إذا رامَ القِيَامَ ويُحْمَلُ[٣٤]

تدعو الأبيات إلى التأمل في حقيقة الحياة، وأن الشباب والصحة نعمتان زائلتان، وأنَّ الإنسان مهما طال عمره فإنه سيصل في النهاية إلى رحلة الضعف والوهن والهرم، ويدور موضوع اختيار المؤلف هنا حول تقدير قيمة الصحة والعافية وفناء الشباب وقدرة الإنسان المحدودة مع مرور الزمن فيتمنى الفتى طول السلامة والصحة والغنى، لكن الشاعر يتساءل كيف يمكن لطول السلامة أن تفعل فعلها؟ بمعنى كيف يمكن أن يستمر الشباب والصحة مع طول العمر، هنا تلميح إلى أن طول العمر قد يأتي مع الضعف والوهن، والشاعر يعبر عن تجربته الخاصة بمعانٍ صادقة تتجاوز الظاهر وتحتاج إلى تفكير وتأمل

لفهمها.

وقد ترددت أبيات الحكمة التي اختارها المؤلف في كتابه بين الوعظ وعدم الغرور بهذه الدنيا الفانية التي تتقلب بأهلها من حال إلى حال:

(الكامل)

إِنَّ الحَدِيدَ وَإِنْ تَطَاوَلَ مُكْثُه
يَوْماً يَصِيرُ إِلى مَقَالَةِ «كَانْ»
فَاعْمَلْ عَلَى مَهَل فَإِنَّكَ مَيِّتٌ
وَامْهَدْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الإِنْسَانْ
فَكَأَنَّمَا قَدْ كَان لَمْ يَكُ إذ مَضَى
وَكَأَنَّمَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانْ[٣٥]

جاء هذا الاختيار بخبر منقول عن الشعبي عندما دخل مكاناً بأزمنة متباعدة فرأى من القتلى في كل مرة الحسين بن علي(ع) وعبيد الله بن زياد، والمختار الثقفي، ومصعب بن الزبير، فقال قلت في نفسي ما أعجب هذه الأمور، واشتد فكري بأحوال هذه الدنيا، حتى أثر ذلك في ملامح وجهي، فقال لي بشر ما بالك؟ فكتمته، ثم ألح عليَّ فأخبرته بما رأيت فبكى، ثم قام وطاف بي في مقاصير الدار فرأيت هذه أبيات الحكمة[٣٦]، التي تدل على فناء هذه الدنيا والابتعاد عن الغرور لأن الحياة محطات فمن قصرٍ إلى حجرة إلى غرفة من طين إلى قبر وحساب وهذا ما يجعل الإنسان يقدم في الحكمة حصيلة تجاربه وخبراته وما لقيه في هذه الحياة من مواقف وعثرات منها ما أثرت به فظلت في نفسه ولكنه لم يدخرها، بل أفصح عنها في شعرٍ يحمل في صياغته الحكمة، ويعد هذا الاختيار الشعري حكمة ناطقة يحاول الشاعر إيصالها إلى المتلقي.

ثم يجسد عقيل بن عُلفة (ت١٠٠هـ)[٣٧] المري معاني الحكمة بقوله: (الطويل)

وللدهر لبساتٌ فكن لابساً له
كَلبْسَتِهِ يَوْما أجَـــدَّ وَأخْلَقَا
وكُن أكْيَسَ الكَيْسَى إذا كُنْتَ فِيْهِمُ
وَإنْ كُنْتَ في الحَمْقَى فَكُنْ أنتَ أحْمَقَا[٣٨]

يقدم الشاعر خلاصة تجربته الحياتية داعياً إلى التوازن بين الواقع والحكمة، عن طريق إظهار حسن التصرف المناسب في الموقف المناسب، دون التمسك بمثالية مفرطة تكون مؤذية لصاحبها في بعض الأحوال، وفي هذا

يشير إلى مبدأ (لكل مقام مقال)، فيدعو إلى التأقلم الذكي في التعامل مع تقلبات الزمان.

ومثله أيضاً قول الإمام علي(ع):

(الكامل)

مَا اعْتَاضَ طالبُ حاجةٍ بِسُؤَالِهِ
عِوَضاً ولو نَالَ الغِنَى بِسُؤَالِ
وَإذَا السُّؤَالُ مَعَ النَّوالِ وَزَنْتَهُ
رَجَحَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نوَالِ[٣٩]

يعبر الإمام (ع) عن موقف أخلاقي يحمل في طياته الحكمة والنصيحة فيدعو إلى الابتعاد عن ذل السؤال واعتماد المرء على نفسه في قضاء حوائجه، ثم يرى أن كرامة النفس وعزتها أثقل وأعظم من كل عطاء ينال بالرجاء.

وهذه الدنيا قد تحمّل الإنسان أكثر من طاقته فتمر به أحداث يكون عاجزاً عن الرد عليها، فهي لا تبقى لأحد رام في طلبها، بل تدور بالعباد من حال لآخر، وهذا ما عبرت به أم جعفر بن يحيى[٤٠] عندما سُئلت ما أصعب ما لقيتِ؟ أنشأت تقول:

(الكامل)

كُلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتَى
فتهونُ غيرَ شَماتةِ الحُسَّادِ
إن المصائبَ تنقضي أسبابُها
وشماتةُ الحُسَّاد بالمرصادِ[٤١]

يتبين من الاختيار الشعري التعبير عن الحكمة المتعلقة بالمصائب والشدائد التي يعيشها الإنسان في حياته، فقد يجبر المرء على أن يتحمل صعوبات الحياة في سبيل العيش الكريم، وكل شيء يسهل ويهون إلا شماتة الحاسدين والأعداء فإنها تؤذي الفرد نفسياً ومعنوياً، فتدعو الشاعرة إلى التحلي بالصبر أثناء الضيق، مؤكدةً أن المصائب على الرغم من قسوتها تصبح أسهل في حال خلوها من شماتة الحاسدين، التي تجعل الألم مضاعفاً بكلماتها التي تستمر بإيذاء النفس، فالشاعرة في هذين البيتين أرادت التعبير عن الحالة النفسية التي يمر بها الإنسان عندما تقع عليه الصعوبات ولا يجد ملجأ للخروج منها إلا بالصبر، وتحكيم العقل، والابتعاد عن التسرع.

ثم سُئلت أم جعفر مرة أخرى عن صعوبات الحياة بعد شماتة الحساد

فقالت: الموت ثم أنشأت تقول شعراً:

(السريع)

لا تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى

لَكِنَّمَا المَوْتُ سؤال الرِّجَالِ

كِـــلاَهُما مَوْتٌ وَلَكِنَّ ذَا

أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ[٤٢]

جاء الاختيار الشعري موضحاً فكرة عميقة عن العزة والكرامة والنبل وما يحمل المرء من صفات حميدة، إذ أشار البيتان إلى أن فقدان الحياة ليس الموت الحقيقي للمرء بل بفقدان كرامته وعزته، والاضطرار إلى طلب الحاجة والسؤال، فيرى أن طلب الحاجة وذل السؤال أكثر وقعاً على النفس من الموت نفسه، وهذا المعنى متجذر في الثقافة العربية، لأنّ العرب يقدرون الكرامة والأخلاق والعزة ويرون الاعتماد على الآخرين والحاجة إليهم دون ضرورة قصوى يمثل موتاً معنوياً، وعلى الإنسان أن يكون على أهبة الاستعداد لأسئلة الحساب مؤكداً أن العمل الصالح والقرب من الباري هو السبيل للنجاة من هذه الدنيا ومتاعها.

ثم أورد اليمني اختياراً آخرَ في موضوع الحكمة ما جاء في الخبر الخامس من كتابه (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) الذي ينم عن عقلية الشاعر وثقافته العامة وقدرة على النظم في كل أمور الحياة قول محمد بن عبد الملك الزيات(ت ٢٣٣هـ)[٤٣]:

(البسيط)

هِيَ السَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إلى يَوْم

كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ العَيْنُ فِي النَّوْمِ

لا تَعْجَلَنَّ رُوَيْداً إنَّمَا دُوَلٌ

دُنيَا تنَقلُ مِنْ قَومٍ إلى قَوْمِ[٤٤]

نلمس حكمة بليغة بدعوة إلى الصبر والتروي إشارة إلى تقلبات الدهر وعدم الثبات وهو السبيل المعتاد له، حيث يقرن أحواله بالأحلام التي سرعان ما تتبدد بعد الاستيقاظ، ثم يصف تنقل الدنيا من قوم لآخرين مبيناً عدم دوامها لأحد بدليل قوله تعالى: «وتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»[٤٥] مما يعكس نوعاً من التواضع وعدم الغرور.

وهكذا فقد كانت الحكمة من الاختيارات المهمة لابن أبي عقامة في كتابه، نقل منها ما يصح المقام لإيراده،

مُنبهاً فيها على معانٍ يفيد منها الناس في حياتهم فيلتمسون منها العظة والعبرة بما يمكنهم من مواجهة مشكلاتهم وأحداث واقعهم.

## الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج متعددة أبرزها ما يأتي:

- كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) جمع المؤلف بين دفتيه مادة أدبية غزيرة لكثير من الشعراء على اختلاف عصورهم ابتداءً من العصر الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي والعصر الأموي وصولاً إلى العصر العباسي.
- إن شعر الحكمة في كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) يمثل خلاصة التفاعل بين الوعي الجماعي والتجربة الفردية التي أسهمت في إثراء الشعر العربي.
- شكلت اختيارات شعر الحكمة عند ابن أبي عقامة اليمني وعياً ثقافياً ذا نسَق شعري مميز حاول عن طريقه إيصال المواعظ لأكبر فئة من المجتمع.
- إن اختيارات شعر الحكمة في كتاب (جواهر الأخبار ومُلح الأشعار) تضمنت أغلب العصور الأدبية ولكن نلحظ هيمنة العصر الجاهلي في شواهده وهذا يعود إلى ازدحام حياتهم التي كانوا يعيشونها بالمواقف والحروب والمعارك والخلافات القبلية التي كانت بينهم.

الهوامش:

١- طبقات فقهاء اليمن، ٢٤١، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/ ٢٥٢.

٢- ينظر: تاج العروس، ٣٣/ ١٢٠.

٣- تاريخ المستبصر، ٢٦.

٤- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٧.

٥- سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٩٣.

٦- خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/ ٥٥٧.

٧- طبقات فقهاء اليمن، ٢٤١.

٨- قلادة النحر، ٣/ ٥٢٣.

٩- أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو من بيت علم كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره (٨٤) شاعراً يرثونه، (ينظر: الأعلام، ١/ ١٥٧).

١٠- خريدة القصر وجريدة العصر، ١٣/ ٢٥١.

١١- السلوك، ١/ ٥٢٥، تحفة اليمن في تاريخ السادات اليمن، ١/ ١٨٢.

١٢- ينظر: جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٢٤٧.

١٣- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/ ٢٥٢.

١٤- قلادة النحر، ٣/ ٥٢٢.

١٥- ينظر: تاريخ المستبصر، ٤٠-٤٣.

١٦- السلوك، ١/ ٢٥٥، وقلادة النحر، ٣/ ٥٢٣.

١٧- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/ ٥٢٥.

١٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/ ٥١٢.

١٩- هدية العارفين، ١/ ٢٧٧.

٢٠- ينظر: كشاف مخطوطات كتاب الطاووس اليمني، ٦٦.

٢١- ينظر: جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ١٩.

٢٢- م.ن، ٢/ ٣٨٤.

٢٣- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ١٢٠.

٢٤- ينظر: الحكمة في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ١٧٨.

٢٥- سورة النحل: ١٢٥.

٢٦- ينظر: الحكمة في الشعر العربي، ٥.

٢٧- ينظر: الحكمة في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ٥٩.

٢٨- الأمالي في الأدب الاسلامي، ٢٩٠.

٢٩- زياد بن معاوية، يكنى أبا أمامة، ويقال أبا ثمامة، وأهل الحجاز يفضلون النابغة، كان يقوي في شعره فعيب ذلك عليه وأسمعوه في غثاء، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف ونبغ في الشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يُهتر

(ينظر: الشعر والشعراء، ١/ ١٥٧).

٣٠- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٦١.

٣١- عدي بن الرعلاء الغساني، أحد بني عمرو بن مازن، والرعلاء أمه هذا ما عرف عنه، ويعد من الشعراء الجاهليين الذين اشتهروا بأسماء أمهاتهم وضاعت أسماء آبائهم (ينظر، سمط اللآلي، ١/ ٨).

٣٢- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ١٠١.

٣٣- النمر بن تولب بن زهير العُكلي، هو من عُكلٍ، كان شاعراً جواداً، ويسمى الكيس لحُسن شعره وهو جاهلي، وأدرك الإسلام فأسلم، عاش إلى أن خرف واهتر. (ينظر: الشعر والشعراء، ١/ ٣٠٩.

٣٤- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٦٢.

٣٥- م.ن، ١/ ٢٥.

٣٦- ينظر: جواهر الأخبار ومُلح الاشعار، ١/ ٢٥-٢٦.

٣٧- عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرة، قيل أنه من أشرف الناس همة وكان الخلفاء يريدون مصاهرته وخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لأحد أولاده، فقال له: جنبني هجناء ولدك، لأنهم أمة غير عربية (ينظر: الأعلام، ٤/ ٢٤٢).

٣٨- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ١٨٦.

٣٩- م.ن، ١/ ١٧٢.

٤٠- فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر، لأنه كان رُبي في حجرها، وغُذي برسلها، ولأن أمه ماتت عن مهده، فكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها، والتبرك برأيها. (ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الراهنة، ٣/ ٨٨).

٤١- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٩٩.

٤٢- م.ن، ١/ ٩٩.

٤٣- محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات، كان وزيراً للمعتصم في حكمه، يعد أديبًا وشاعراً عربياً، وعالماً بالنحو واللغة، ولد (١٣٧هـ) وتوفي وكان عمره ٦٠ عاماً (ينظر: سير أعلام النبلاء، ١١).

٤٤- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، ١/ ٤٠.

٤٥- سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

المصادر والمراجع:

اولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

١- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٥، ٢٠٠٢.

٢- الأمالي في الأدب الاسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار، دار المناهج، عمان – الأردن، (د.ط)، ٢٠٠٦م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي، تحقيق؛ إبراهيم الترزي، مراجعة الدكتور محمد سلامة رحمة ومصطفى حجازي والدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤- تاريخ المستبصر، ابن المجاور، دار الشرق، ط١، ١٩٩٦م.

٥- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الراهنة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٣٣م.

٦- جواهر الأخبار ومُلح الأشعار، القاضي مؤتمن الدين الحسن بن محمد بن أبي عقامة اليمني (ت٤٨٠هـ)، تحقيق: نهى عبد الرزاق حنفاوي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٢٤م.

٧- الحكمة في الشعر العربي، سراج الدين محمد، موسوعة مبدعون، دار الراتب الجامعية، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٨- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجة، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٤٩م.

٩- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الكاتب الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، (د.ت).

١٠- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ابو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السَّكسكي الكندي (ت٧٣٢)، بتجزئة المحقق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحِوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.

١١- سمط اللآلي، للوزير أبي عبيد البكري الأوْنبيّ، بمشاطرة عبد العزيز الميمني له في أبحاثه، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م،

١٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦م.

١٣- الشعر والشعراء، ابن قتيبة مسلم بن

الحجاج الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٤٦م.

١٤- طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية، دار القلم، بيروت – لبنان.

١٥- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الهجراني الحضرمي الشافعي، تحقيق: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.

١٦- كشاف مخطوطات كتاب الطاووس اليمني، عبدالكريم الكرماني، دار المخطوطات، صنعاء – اليمن، (د.ت).

ثالثا: الرسائل والاطاريح

١- الحكمة في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مظفر عبد الستار، المشرف: يونس أحمد السامرائي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، اللغة العربية، ١٩٩٢م.